الفصل الخامس والخمسون

افعلْ ما تحب

الحياة ـ لا يوجد شيء أكثر ندرةً في العالم.
معظم الناس يوجدون، لا أكثر.

أوسكار وايلد

كل شيء في الحياة طاقة. إن كنتَ ترغب في حياةٍ سلسة وناجحة، عليك مجاراة سيل الطاقة وعدم مجابهته. السباحة مع التيار تعني أن تعيش بانسجام مع القوانين الطبيعية، وألاّ تقاومها. إذاً دعِ الحياة تسوقك. فعلى هذا النحو تحقّق أهدافك بسرعة أكبر مما لو كافحت ضد التيار. ولكن من أين لنا أن نعرف ما إذا كنا نسير مع التيار؟ أمر بسيط جداً: فالأشياء الجميلة تلج حياتك تلقائياً، وأنت تحبّ ما تفعل. ربما تقسو على نفسك في العمل من أجل ذلك، ولكن الأمر ممتع. لا شك في أن مايكل جوردان عمل بقسوة في سبيل نجاحه كلاعب كرة سلّة، ولكنه فعل ذلك بكل سرور. صحيح أن السباحة مع التيار ليست يسيرة دائماً، إنما لا يمكن مقارنتها مع السباحة ضد التيار، فالعمل يمكن أن يكون ممتعاً. كثيراً ما ينظر أصحاب أعلى الأجور إلى مهنتهم على أنها لهو وتسلية. حسبك أن تفكّر في الرياضيين المرموقين. الأشخاص الناجحون فعلاً لا يفعلون ما يحبّون وحسب، بل ما يتمتعون بموهبة طبيعية فيه أيضاً، وبذلك يصقلون موهبتهم.

إذا أردتَ معرفة النشاط الذي تريد أن تكسب من جرائه المال فعلاً، عليك أولاً أن تستثمر المزيد من الوقت في الأمور التي تحبّها. إذا كان الرقص يروق لك، التحقْ بدورة تعليمية في الرقص. إن كنتَ تحبّ المطالعة، انتسبْ إلى نادٍ للكتّاب. أيّاً كان ما تحبّ، اجعلْه جزءاً من حياتك. كلما كنتَ أكثر في حالة الفيض (الفكرة رقم 32)، ولج حياتك المزيد من الأمور الرائعة بصورة تلقائية. لا يعني هذا

بطبيعة الحال أن تنبذ مهنتك، وأن تتفرّغ للرقص فقط من الآن فصاعداً. ربما يكفيك تماماً أن ترقص في أوقات فراغك. ما عليك إلاّ أن تبدأ، وأن تجمع "خبرات الفيض"، وتنتظر إلى أن يحملك التيار. أحد أصدقائي، وكان مستشاراً دوائياً، كان شديد الاهتمام بالبورصة. هكذا التحق بالدورات التعليمية الموافقة، وقرأ كتباً في الموضوع، وبدأ بالمضاربة لأول مرة بعد سنة واحدة. وهو اليوم سمسار بورصة.

اتبع السبيل الأقل مقاومةً. اعملْ في شركة يمكنك أن تتماهى مع منتجاتها. أثبتْ وجودك في مجالاتٍ تتّفق مع قدراتك الطبيعية. تزوّجْ من شريكٍ يرمي إلى الأهداف ذاتها. لا يسعك مجاراة سيل الطاقة أو السباحة بعكس التيار. فإذا كانت جميع مشاريعك مقترنة ببذل الجهد ولم تكنْ تشعر أنك على ما يرام، فربما أنت في الاتجاه الخاطئ. أما إذا كنتَ على الطريق الصحيحة، فسوف يروق لك العمل ويهيّئ لك المتعة، مهما كان الجهد الذي يتطلّبه.

سام، أحد زبائني، كان يلوم نفسد أشد اللوم، لأنه لم يكنْ قادراً على تنظيم محاسبة شركته. صحيح أنه كان خبيراً في الحاسوب، إلاّ أنه لم يكن قادراً على مسك دفاتره بشكل صحيح وكان يدفع سنةً بعد سنة غراماتٍ كبيرة، لأنه لم يكن يدفع الضرائب في الوقت المناسب. أخيراً، حينما أدرك أن هذه المهمّة فوق طاقته، عهد بالمحاسبة إلى شخصٍ خبير، مما شكّل له تخفيفاً كبيراً وتمكّن أخيراً من التركيز على العمل الذي كان يحبّه فعلاً، العمل على الحاسوب. ولم تمضِ مدة وجيزة حتى تلقّى طلبياتٍ مُربحة. اشطبِ الأعمال المقيتة من حياتك، ووفّر الوقت والمكان للأمور التي يحلو لك القيام بها (الفكرة رقم 16).

أنطون، زبون رياضي وشديد الجاذبية، استخدمني لأنه كان يشعر أن وظائفه الثلاث كانت تكلّفه أكثر مما في وسعه، ويعاني من الأرق. كان ينهض كل صباح بين الساعة الرابعة والنصف والخامسة، علماً بأنه لم يكن يذهب إلى الفراش قبل الواحدة ليلاً. كان أنطون يعمل لصالح برنامج تسويق متعدّد المستويات يسوّق منتجات صحّة ورشاقة مختلفة، وكان يُمضي الجزء الأكبر من وقته في حضور حلقاتٍ دراسية مختلفة وفي كسب المزيد من الزبائن، بل أكثر من ذلك: كان أنطون يعمل أيضاً مدرّب رشاقة في نوادٍ مختلفة ومدرّباً شخصياً.

على الرغم من عمله الشاق لم يكن أنطون يتقدّم، لا بل كان في هذه الأثناء مديناً بـ 41000 يورو، نتيجة سعيه إلى تثبيت قدميه عن طريق برنامج التسويق

متعدّد المستويات، وكانت صديقته محبَطة، لأنه لم يكن لديه أيّ وقت لأجلها. منذ سنوات لم يتكلّم أنطون مع والدته، ذلك أنه استدان مالاً من شقيقته ولم يردّه لها بعد. كان أنطون على قناعة بأنه لا يحتاج سوى إلى بذل المزيد من الجهد حتى يحقّق الاختراق الكبير. سألتُه عن حجم المعاناة التي يجب أن يشعر بها حتى يقرّ أن برنامج التسويق متعدّد المستويات قد دمّره. قمنا معاً بمراجعة مدوّناته، وتأكّد لنا أنه استثمر من المال في الحلقات الدراسية وما شابه أكثر مما دخل له. سألتُه إن كان بإمكانه التخلّي عن الحلقات الدراسية والاكتفاء ببساطة ببيع المنتجات. فأوضح لي أن ذلك يكاد لا يدرّ مالاً، بل يؤدي إلى اكتساب مشتركين جدد فقط. إذاً، حذار من مثل هذه الشركات! إن كنتَ لا تستطيع المعيشة من بيع المنتجات وحسب، فانفضْ يدك منه.

بيد أن الوقت والمال، اللذين استثمرهما أنطون في السنتين المنصرمتين في هذا المشروع، بلغا حدّاً لم يكنْ يريد التخلّي عنه ببساطة. وكان على ثقة بأنه سرعان ما سيفلِح في تحقيق الاختراق. إذاً، عقدنا اتفاقاً. بما أن أنطون كان بحاجةٍ ماسة إلى المال، وبشكل فوري، كان عليه أن يكفّ عن استثمار المال في أيّ حلقةٍ دراسية جديدة، إلى أن يغدو لديه دخل ثابت. ووافق أنطون. وراجع الطبيب بسبب أرقه وتبيّن أنه سليم الجسم تماماً. وأوضحتُ له أن ديونه هي التي سلبتْ النوم من عينيه، ونصحتُه بأن يعلن إفلاسه وأن يبدأ من جديد. بيد أن البداية الجديدة تكاد تكون غير ممكنة مع ضغط الديون الذي يجثم على صدره، لذلك تخلّى أنطون عن إجراءات إعلان الإفلاس، وأنا لم ألحّ عليه.

عرف أنطون أن أسرع وسيلة لكسب المال كانت عمله كمدرّب شخصي. وكان يحبّ هذا العمل، ولكنه يخشى من عدم كسب ما يكفي من المال منه. لم يكنْ قد تخلّص بعد من فكرة الإثراء بين ليلةٍ وضحاها، والتي أغواه بها برنامج التسويق متعدّد المستويات. صحيح أن الـ 35 يورو في ساعة التدريب الواحدة لن تجعله ثرياً بين يومٍ وليلة، ولكنه كان دخلاً على كل حال. وأخذ بنصيحةٍ أخرى وصمّم نشرة دعائية وعرضها في نادي الرشاقة، وارتفع عدد زبائنه نتيجة ذلك إلى ثلاثة وعشرين زبوناً في غضون ثلاثة أشهر. صحيح أنه استمر في العمل مساءً لصالح برنامج التسويق متعدّد المستويات، ولكنه راح يُمضي وقتاً متزايداً في عمله كمدرّب رشاقة. وأخيراً قام باستشارة محامٍ فيما يختصّ بإجراءات إعلان الإفلاس. وأدرك أن العديد من رجال الأعمال الشباب يضطرون إلى إشهار إفلاسهم، وألاّ

علاقة لذلك بقصورٍ أو فشل شخصي، إنما يمكن عزوه ببساطة إلى أنه كان قد اختار العمل الخاطئ. لا شك في أنه لن يرتكب هذا الخطأ مرة أخرى. وصار يستثمر المزيد من الوقت في أمورٍ تروق له، فعاد إلى لعب كرة القدم والخروج مع صديقته بشكل منتظم، واتّخذتْ حياته شيئاً فشيئاً الاتجاه المرغوب.

وبعد بضعة أسابيع اتصل بي هاتفياً، وأبلغني أنه أمضى يومه المثالي، وأن كل شيء سار بسلام. واستيقظ بعد ست ساعاتٍ من النوم وهو يشعر بالارتياح التام. ووصل قطاره في موعده، كما وصل زبائنه في الموعد المحدّد أيضاً، وكانت ساعة التدريب ممتعة للجميع، لا بل كان لديه متسع من الوقت للذهاب لتناول الغداء. وفي المساء اتصل به زبائن مختلفون وجدّدوا اشتراكهم. بعد ذلك رافق صديقته إلى السينما. على هذا النحو يُفترَض أن يسير يومنا، عندما نسبح مع تيار الحياة. ولم تمضِ سنة واحدة، حتى انتقل أنطون إلى شقّةٍ جميلة في إحدى الضواحي، وعقد خطبته على صديقته بعد انتظار، كما عاد التفاهم والوئام مع والدته وشقيقته من جديد. وسدّد ديونه في هذه الأثناء، وزال عنه الأرق، وبات الآن مدرّباً شخصياً مطلوباً جداً. أما مشروعه المقبل فهو افتتاح نادٍ للرشاقة.

هكذا عزيزي القارئ، يجب ألاّ تركّز إلاّ على الأمور التي تروق لك وتهيّئ لك المتعة، وسوف تأخذ حياتك منحىً إيجابياً.